طريقة "نور البيان" في تعليم اللغة العربية

Uril Bahruddin

Email: uril_yayuk@yahoo.com
Ma'had Mu'allimy al-Qur'an al-Kariim Kairo Mesir
Alamat Korespondensi: Wisma Nusantara Madinah al-Nashr Cairo Egypt

Abstract

There have been many efforts of developing Arabic learning either in Arab countries and other countries, including Indonesia. Some of the methods developed are the "tarjamah" method, direct method, listening and speaking method as well as communicative methods. All the methods are aimed at the effective ways of learning Arabic. One of the new methods developed by Muhammad Dawud, a director of the Institute of Al-Quran Teacher Education in Cairo Egypt is called the method of Nurul Bayan. This method emphasizes the closeness and interaction between an Arabic learner and Al-Quran that is an example of the most perfect Arabic.

Keywords

Thariqah, Ta'liim, Nuur al-Bayaan

مقدمة

يتناول هذا البحث طريقة جديدة في تعليم اللغة العربية التي تعتمد على القرآن الكريم، لأن لغته تعتبر لغة فصحى نموذجية، وهي التي تسمى بطريقة نور البيان في تعليم اللغة العربية.

إنه من الطبيعي أن يتقن الإنسان لغته التي نطق بها أبواه ومجتمعه وعاش فيها، ويعرف قواعدها وأحكامها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وهو ما عرف عند القدماء العرب بالسليقة. أما غير لغته، فلا يمكن أن يتعلمها وحده، حتى يقرأ بها، ويتحدث، ويكتب، بل لا بد له من معلم، ونطق، وخبرة. أو كما أكد حجازي (1992:181) أنه لا بد له من فهم قوانين هذه اللغة فهما نظريا، ثم تطبيق هذه القوانين على كلمات وجمل منها، ثم نطق هذه الكلمات والجمل.

وانطلاقا من هذا الواقع وهذه الحقيقة كان وما زال حتى الآن الاهتمام بتعليم اللغة العربية في البلاد الإسلامية أمرا ضروريا، لأن اللغة العربية هي المنبع الأصيل لفهم العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وتراث فقهي وأصولي وعقدي أصيل وضع قواعده وشيد بناءه سلفنا الصالح.

إن تعليم العربية لغير الناطقين بها يعد مجالاً خصباً؛ لكثرة الطلب على اللغة من جانب، ولقلّة الجهود المبذولة في هذا الميدان من جانب آخر، وقد سعت العديد من المؤسسات الرسمية والهيئات التعليمة إلى تقديم شيء في هذا الميدان إلا أن الطلب على اللغة العربية لا يمكن مقارنته بالجهود المبذولة، فمهما قدّمت الجامعات في الدول العربية والمنظمات الرسمية من جهد يظل بحاجة إلى المزيد والمزيد.

لقد عرف أهل إندونيسا اللغة العربية منذ دخول الإسلام إليها في القرن السابع الميلادي مع قدوم التجار العرب المسلمين (ابن سمير، 2002:47)، وبفضل هذا الاحتكاك ونتيجة لاعتناق

الإندونيسيين للإسلام تبنوا الحرف العربي لكتابة اللغة الملاوية التي كانت سائدة في كل أنحاء الأرخبيل، وسعوا لتعليم أبنائهم اللغة العربية، وبذلوا في هذا الصدد جهودا عظيمة ومقدرة في التعليم الحكومي والأهلي وما زالوا يفعلون ذلك بهمة لا تعرف الكلل والملل.

فلا شك أن مستويات الطلبة الإندونيسيين متباينة إلى حد كبير، فبعضهم يتمتع بشيء من الطلاقة في المحادثة والبعض الآخر ملم إلماما طيبا بالنحو والقواعد، ومعظمهم يعاني من ضعف واضح في مهارة الاستماع، ولعل سبب هذا التباين أن الطلبة أتوا من المدارس التي تكون حصة اللغة العربية في مقرراتها لا يتعدى عن ثلاث ساعات أسبوعية والبعض الآخر جاء من المدارس وفي مناهجها حصة اللغة العربية متوفر الساعات إذ تعتبر اللغة العربية مادة أساسية منذ المرحلة الابتدائية حتى نهاية التعليم الثانوي. وعموما كما ذكره أبكر (1992:29) يمكن وصف حال الطلبة الذين يلتحقون بأقسام اللغة العربية في الجامعات الإندونيسية بأنهم طلبة ملمون بمبادئ القراءة والترجمة وبقدر من قواعد العربية ونحوها، ولكن قدراتهم محدودة في فهم المسموع والتعبير الشفهي والكتابي.

أما المشكلة الثانية فهي الصعوبات الناتجة عن الخلفية اللغوية، حيث إن إندونيسيا تتميز بالتعددية اللغوية، وأن الطالب الإندونيسي الذي يرس للغة العربية يتحدث في الغالب لغتين أو ثلاث لغات، فضلا عن لغة أجنبية أخرى قد تعلمها في المرحلة الثانوية، وبالتالي نظم وتراكيب هذه اللغات جميعا تؤثر سلبا أو إيجابا على مسار تعلمه للغة العربية.

وأما المشكلة التي تتعلق بالمعلم، فمن المسلم به أن المعلم هو القلب النابض للعملية التعليمية والموجه والمنفذ لها، وعليه يتوقف نجاحها. ولهذا فإن قضية إعداد المعلم تتميز بخصوصياتها بين المحاور الأخرى للعملية التعليمية. إن المستحدثات التعليمية التي شهدها مجال تعليم اللغات الأجنبية في السنوات الأخيرة تؤكد أن الإعداد الصحيح للمعلم وتأهيله تربويا يعد صمام الأمان لنجاح العملية التعليمية. وقد كشف العديد من البحوث والدراسات التطبيقية عن النقص الواضح في المعلمين المؤهلين (1992:234).

وأما عن مشكلة المناهج المستخدمة في عملية التعليم في الجامعة، ففي البداية كان تعليم اللغة العربية بالجامعات الحكومية يسير على منهج المواد المنفصلة، حيث لكل من الكليات استقلالها في تنفيذ عملية التعليم وإدارتها. ومعظم المناهج المستخدمة تنقصها مهارة التعبير شفهيا كان أم كتابيا.

كل هذا جعل رجال وزارة الشؤون الدينية ومديري الجامعات يعيدون النظر في المنهج ويرون ضرورة توحيد المنهج، فغيروا منهج المواد المنفصلة من نحو وصرف وبلاغة وغير ذلك إلى منهج نظرية الوحدة كما استعملوا الطريقة السمعية تحقيقا لرغبتهم في إكساب الطالب المهارات اللغوية الأربع التي هي الاستماع والكلام والقراءة والكتابة (1992:217).

وقد بذات المجهودات للتغلب على الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة العربية، فظهرت في الساحة عدة طرائق في تعليم اللغة اللعربية، بداية من

طريقة الترجمة، ثم المباشرة، ثم السمعية الشفهية، ثم الاتصالية، ثم الانتقائية.

وهذه الدراسة ستقدم وصف إحدى طرائق تعليم اللغة العربية والتي تسمى بطريقة نور البيان في تعليم اللغة العربية. وذلك بالاعتبار أنها أحدث الطرائق في تعليم اللغة العربية وقد وجدت قبولا ملموسا في القاهرة.

منهج البحث

يتطلب هذا البحث استخدام المدخل المناسب والذي يمكن أن يتوصل الباحث إلى النتائج المتوقعة، وذلك لا يتأتى إلا إذا استخدم المدخل الكيفي لوصف تلك الظاهرة وعرضها وتحليلها. ويكون مجتمع البحث في هذه الحالة منسوبو معهد معلمي القرآن الكريم في القاهرة وعلى رأسهم عميده الأستاذ د. محمد محمد داود. وحتى يحصل الباحث على البيانات المطلوبة، استخدام طريقتين لجمع البيانات، وهما : طريقة الملاحظة، وطريقة المقابلة.

فلأن هذا البحث من نوع البحث الكيفي، فيكون تحليل البيانات فيه باستعمال منهج التحليل الكيفي أيضا. ثم إن عملية تحليل البيانات في البحث الكيفي تبدأ من قبل أن يدخل الباحث في ميدان البحث، وفي أثناء شروعه في جمع البيانات، وحتى ينتهي من العملية الميدانية. وللتأكد من صدق نتائج البحث وثباتها قام الباحث بالملاحظات الدقيقة المستمرة، واستخدم أيضا طريقة الجمع بين طريقتي الملاحظة والمقابلة والطرائق الأخرى عند جمع البيانات في نفس الوقت.

وصف طريقة نور البيان

صاحب هذه الطريقة هوالأستاذ الدكتور محمد بن محمد داود وهو مدير معهد معلمي القرآن الكريم، وهي الطريقة التي تهتم بالبيئة اللغوية، حيث يتعلم الدارس اللغة العربية من البيئة مباشرة. فعلى سبيل المثال، الدارس الإندونيسي الذي يريد أن يتعلم اللغة العربية بطريقة نور البيان سوف يتم إرساله في قرية من قرى القاهرة، وهي قرية يتكلم أهلها باللغة العربية الفصحى، ولمدة معينة حددها المعهد، ويتابعه المشرف أو المدرس من خلال تواجده في تلك القرية، ويعمل التقويم بعد مضي وقت معين، وهكذا حتى يستطيع الدارس اللغة العربية على حد معين.

وتعتمد هذه الطريقة على فكرة أن هناك عنصران مهمان في تعلم اللغة العربية واكتسابها وهما السماع والكلام، فإذا أراد أن يكتسب الدارس أي لغة فلا بد أن يسمع ويتكلم.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه المناسبة هو: ماذا يسمع يا ترى ؟ فالإجابة على هذا السؤال هو أن يسمع اللغة النموذجية، واللغة النموذجية هي لغة القرآن الكريم الذي يحدث استقرارا للغة العرية. واللغة النموذجية الثانية هي اللغة العربية الفصحى التي يتحدث بها أهل القرى النائية والبعيدة من تلوث المدن، وهي ما يسمى باللغة الحياتية، فالدارس في هذه الحالة يكتسب لغة حية مستخدمة في البيئة مباشرة، وليست لغة معلمة في الفصل بعيدة عن الواقع والبيئة، حيث في كثير من الأحيان لا تستخدم ألفاظها في واقع الحياة (مقابلة د. محمد داود 3 ديسمبر 2009م).

طريقة نور البيان تقوم على القرآن الكريم

وإذا اتخذنا القرآن الكريم نموذجا للغة العربية وبحثنا في المستوى القرآني أمام العرب، وجدناهم ينظرون إلى القرآن الكريم، وإلى أسلوبه نظرة أسمى حتى من آثارهم الأدبية الأخرى، ذلك لأنه تحداهم وأعجزهم، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، وإننا نرى هذا واضحا في كلام العلماء القدماء حين بحثوا إعجاز القرآن، ووصل بعضهم القول إلى حد أن أكد لنا، أن إعجازه لا يدركه إلا من أتقن الشعر والخطابة والكتابة وجميع الأساليب اللغوية المعروفة. إضافة إلى ذلك أن القرآن الكريم هو الذي جعل اللغة العربية باقية إلى ما شاء الله، وإذا قرأنا التاريخ، وجدنا أن هناك أمم كثيرة مضت، ولتلك الأمم لغات سايرت حياتها الاجتماعية والسياسية جنبا إلى جنب. وكانت تلك اللغات مرآة تنعكس عليها صور وجودها وألوان حياتها، فرقيت برقيها، وضعفت بضعفها، ثم أصبحت يعرفها التاريخ أن عفت آثاره ودرست معالمه، فلا يدركه الناس عن طريق وجود قائم، وإنما يدركونه من طريق تاريخ متحدث.

إذا نحن لا نغالى، عندما نقول : إن أسلوب القرآن وهو يمثل قمة اللغة العربية الفصحى، كان فوق مستوى العامة من العرب، كما كان في بعض الأحيان فوق مستوى الخاصة. ومن أجل ذلك تقوم طريقة نور البيان في تعليم اللغة العربية على لغة القرآن الكريم.

طريقة نور البيان لتعليم العربية تعتمد على الفصحى

عندما نتحدث عن اللغة العربية الفصحى فإن أقرب الآراء والتعريفات إلى الحقائق التاريخية واللغوية هو القائل بنشأة الفصحى في قريش لأسباب دينية واقتصادية وسياسية وأدبية، ففي مكة مهد قريش الكعبة مهوى أفئدة العرب وموضع اعتقادهم، وفيها منافع لهم يطلبونها في التجارة والمال، وفيها نفوذ السلطة وقوة المركز لأنها أم القرى، وفيها أسواق الشعر والمفاخرة.

فالعربية الفصحى توصف بخصائص أهمها :

أولا : أنها لغة انتقائية مشتركة تشكلت أصولها وتوضحت مقاييسها لدى قبيلة قريش، وعلى هذا أن وصف العربية بالقريشية على أنه نحو من اعتبار الصفات الغالبة أو قصد إلى تعيين الموئل الذي شهد تخلقها من أجود الفصيح الذي جرى على ألسنة العرب. وقد فصلنا هذا الكلام عند الحديث عن اللغة العربية المشتركة، فصفات العربية المشتركة عندئذ تنطبق تماما بصفات العربية الفصحى.

ثانيا : أنها لغة الإعراب، حيث يمثل الإعراب صفة من أقدم خصائص الفصحى وأبرزها، ولذلك صار بعد ذيوع اللحن وانحدار مستوى الحديث السمة التى تميز الفصحى من العامية.

الطريقة المعتمدة على السمعية الشفهية المباشرة

الطريقة السمعية الشفهية البصرية تعتمد على استعمال المعامل اللغوية والوسائل التعليمية، وهي التي تتبق في بعض المؤسسات والمعاهد التعليمية في أنحاء إندونيسيسا. وتهدف هذه الطريقة إلى الاهتمام بالمهارات اللغوية الأربع، ولكناها تولي اهتماما كبيرا بمهارات الاستماع والكلام، وصولا للطلاقة اللغوية. فطريقة نور البيان تهتم بالسمعية الشفهية انطلاقا من فكرة أن اللغة هي

الكلام، لأن الصوت اللغوي هو الصورة الحية للغة، واللغة التي لا تنطق لغة ميتة، ولا تغني الكتابة عن الواقع الصوتي للغة، وبشأن اللغة العربية فلقد كان للقدماء بصر باللغة وحس مرهف، فقد أدركوا الحقيقة الصوتية للغة، ونلمح ذلك واضحا من تعريف ابن جني، حيث يعرف ابن جني اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

إضافة إلى ذلك أن طريقة نور البيان تهتم بالطريقة المباشرة، فهي تتولي اهتماما كبيرا بالجانب الاتصالي والمنطوق للغة، حيث يكتسب الطلاب مهارة وطلاقة في التخاطب والمحادثة.

والاهتمام بالكلام والاستماع في طريقة نور البيان لأن أصوات اللغة العربية لها مميزاتها الخاصة، فمخارج تلك الأصوات مثلا تتوزع في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات. ويراعي العرب في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزعها وترتيبها فيها حدوث الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي. فمثلاً: لا تجتمع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال. ولا تجتمع الجيم مع القاف والظاء والطاء والغين والصاد، ولا الحاء مع الهاء، ولا الهاء قبل العين، ولا الخاء قبل الهاء، ولا النون قبل الراء، ولا اللام قبل الشين.

وأصوات العربية ثابتة على مدى العصور والأجيال منذ أربعة عشر قرناً. ولم يُعرف مثل هذا الثبات في لغة من لغات العالم في مثل هذا اليقين والجزم. إن التشويه الذي طرأ على لفظ الحروف العربية في اللهجات العامية قليل محدود، وهذه التغيرات مفرقة في البلاد العربية لا تجتمع كلها في بلد واحد. وهذا الثبات، على عكس اللغات الأجنبية، يعود إلى أمرين : القرآن، ونزعة المحافظة عند العرب.

وللأصوات في اللغة العربية وظيفة بيانية وقيمة تعبيرية، فالغين تفيد معنى الاستتار والغَيْبة والخفاء كما نلاحظ في : غاب، غار، غاص، غال، غام. والجيم تفيد معنى الجمع : جمع، جمل، جمد، جمر. وهكذا.

خاتمة

انطلاقا من مشكلة هذا البحث، واعتمادا على البيانات السابقة الذكر استنتج الباحث أن هناك عدة محاولات مستمرة وجهود مبذولة من أجل التغلب على الصعوبات التي تواجه دارسي اللغة العربية. ومن أجل ذلك أيضا قدمت طريقة نور البيان تجربة رائعة في تطوير طرائق تعليم اللغة العربية، حيث تتبنى الفكرة من أن هناك عنصران مهمان في تعلم اللغة العربية واكتسابها وهما السماع والكلام، فإذا أراد أن يكتسب الدارس أي لغة فلا بد أن يسمع ويتكلم.

فعملية نجاح تعلم اللغة العربية بطريقة نور البيان هي : (1) السماع والكلام "اسمع وتكلم"، و(2) اسمع اللغة النموذجية "القرآن الكريم"، و(3) اسمع اللغة الحياتية "اسمع من لغة البيئة مباشرة" أي الممارسة المباشرة، و(4) التنفيذ والمفاعلة، (5) وجود المعلم الذي يقوم بالإشراف والمتابعة والتقويم.

المراجع

بحر الدين، أوريل. 2009. *فقه اللغة العربية: مدخل لدراسة موضوعات فقه اللغة*. مالانج: مطبعة جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية.

بن سمير، زيد. 2002. *الكفاءة في التعبير الكتابي لطلاب البرنامج الخاص لتعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية الحكومية مالانج*. رسالة ماجستير. غير منشورة. مالانج: قسم الدراسات العليا -الجامعة الإسلامية الحكومية مالانج.

داود، محمد محمد. 2001. *العربية وعلم اللغة الحديث*. القاهرة: دار غريب.

سجل ندوة تطوير تعليم اللغة العربية في الجامعات الإندونيسية الواقع والمستقبل في الفترة من 6 -8 جمادى الآخرة 1413هـ الموافق من 30 نوفمبر -2ديسمبر 1992مـ. ص 217.

معهد العلوم الإسلامية والعربية في إندونيسيا، *الأرخبيل: اخبارية ثقافية*، العدد الثالثة عشرة العدد الرابع عشر، رجب 1430هـ/ يوليو 2009م.